جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالإسكندرية

المحسنات البديعية في المقدمات الغزلية بين البحترى والمتنبى

دراسة بلاغية

الدكتورة
نادية الحناوى
أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات ، وتكثر بها الحسنات ، وتعم بها الخيرات ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ،وأصلى وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فان المقدمات تقليد فنى تعارف عليه الشعراء منذ الجاهلية ، وألفه جمهور الممدوحين والسامعين، وهى دائما وأبدا تمهيد وتهيئة يعمد الشعراء فيها الى خلق أجواء عاطفية يخلصون منها الى أغراضهم .

وقد اعتاد الشعراء تصدير مدائحهم بالمقدمات الغزلية توطئة للذهن ،وميلا للنفس الى ما فيها من ذكر الهوى والعشق وأحواله، ووصف الديار، فان ذلك تميل اليه النفس بالطبع ،فاذا خرج الشاعر من النسيب وأقبل على المدح قبلته القلوب ،فيكون ذلك أبلغ لحصول المقصود.

وهكذا حافظ الشعراء على الأشكال الموروثة فى فواتح قصائدهم ، قول المتنبى:

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعرا متيم .[١]

وقد جعل الامام الطيبى النسيب لونا من ألوان البديع تحسينه راجع الى اللفظ والمعنى معا، وعرفه بأنه يقدم قبل الشروع فى الكلام ما يمهد المرام ، وجعله على وجوه منها : الغزل قبل المدح.[٢]

ويكاد يتفق الدارسون على أن الشعر العربى بلغ ذروة نضجه فى العصر العباسى، وأن أبا تمام والبحترى والمتنبى هم فرسانه الثلاثة

المبرزون، فقد تحدث كثير من الأدباء والنقاد حول هؤلاء الشعراء الذين أبدعوا فى مجالهم أيما ابداع ،هؤلاء الشعراء جمعت أشعارهم تجديد المحدثين الى جانب فصاحة القدماء، كما جمعت الأمثال السائرة وحكم الحكماء، ولقد عمدت الى شعر البحترى و المتنبى ،لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعانى و الألفاظ ،فقد ذكر النقاد أنه ليس هناك أكثر من ديوان البحترى تهذيبا للألفاظ ، وأبهج سبكا ،وأحسن ديباجة .

وليس أجمع من ديوان المتنبى للمعانى الدقيقة، ولاأكثر استخراجا للطيف الأغراض والمقاصد منه.

وقد وقع اختيارى على المقدمات الغزلية عند هذين الشاعرين فرددت النظرفى هذه المقدمات لاستخراج المحسنات البديعية منها ، وخاصة أن شعراء العصر العباسى ولعوا بالبديع وأكثروا منه فى عصر الرقى والحضارة،و سبب آخر وراء اختيارى لهذا موضوع.

هو أن البلاغيين ونقاد العرب لم يدرسوا المقدمات ويعنوا بها عناية كاملة ، بل درسوا الأبيات الأولى منها أى المطالع ، وأخذوا يقدمون النصائح للشعراء حتى يستفيدوا منها فى صنع قصائدهم ضاربين لهم الأمثال على أروع المطالع وأجودها لدى الشعراء، كما ضربوا الأمثال على أخطاء أسلافهم الذين وقعوا فى قبح المطالع.

---

(١)ديوان المتنبى بشرح العكبرى جـ ٣ ص ٣٥٠
(٢)التبيان فى البيان ص ٤٨٤

وذهبوا الى أن المطلع يقصد منه تنبيه السامعين، واستمالة أفئدتهم ،حتى يكونوا مهيئين للاصغاء الى موضوع القصيدة الأصلى ، وقد حاولت استخراج الفنون البديعية من هذه المقدمات و تجليتها ،والكشف عن دقائقها وأسرارها، وابراز مكانتها البلاغية، كما بينت أن هذه المحسنات ليست لمجرد الزينة والزخرفة، فالزينة المنبعثة منها زينة ذاتية وليست عرضية أو شكلية، فقد اقتضاها المقام واستدعاها الحال ، هذا وقد اشتمل البحث على :

مقدمة ، وتمهيد تضمن التعريف على شخصية الشاعرين وشعرهما .

ثم ثلاثة مباحث : المبحث الأول احتوى على تحليل ثلاث مقدمات للبحترى .

والمبحث الثانى تضمن تحليل ثلاث مقدمات للمتنبى .

ثم المبحث الثالث وقد قمت فيه بعمل موازنة

حاولت من خلالها بيان ماتفق فيه الشاعران ومااختلفا.

ثم خاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع.

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم ،وأن يتفضل علىّ بنعمت الرضا وشرف القبول، انه تعالى أكرم مسؤول، وهو حسبى ونعم الوكيل .

تمهيد : ويتضمن نبذة مختصرة عن شخصية الشاعرين

أولاً : البحترى

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله بن يحى البحترى ، طائى الأب شيبانى الأم ، غلب عليه لقب البحترى نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر ، ولد (٢٠٦ هـ) بمنبج قريباً من حلب ، وهى كما يقول : ياقوت الحموى مدينة كثيرة البساتين عذبة الماء باردة الهواء . (١)

نشأ وتأدب فى أحضان عشيرته يتغذى من فصاحتها ، حفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأشعار والخطب ، وانضم إلى حلقات العلماء فى المساجد وأخذ عنهم ، فأخذ بحظوظ من الثقافة العربية والإسلامية فى عصره ، ولم يتخصص فى أحد فروعها ولكنه كان ملماً بها .

وأكب على دواويين الشعراء مما أتاح له ثقافة شعرية واسعة ، هذه النشأة البدوية ، وهذه الثقافة العربية الخالصة ، وهذه الدراسة لتراث الماضيين هى التى هيأته لأن تكون قصائده فى معانيها ومبانيها شبيهة بقصائد الأسلاف مثل جرير من الأمويين ، ثم خرج إلى العراق ، وأخذ يمدح الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة وظل الشاعر

---

(١) انظر ترجمته شذرات الذهب لابن العماد جـ ٣ ص ١٨٦ ، النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٩٩ ، معجم الأدباء ياقوت الحموى جـ ١٩ ص ٢٤٨ ، الموازنة للآمدى ص ٦ ، زهر الآداب للحصرى جـ ص ١٠٦ ، جواهر الأدب للهاشمى ص ٦٠٥ ، تاريخ الأدب العربى حنا الفاخورى ص ٥٠٤ ، الوساطة ص ، الفن ومذاهبه شوقى ضيف ص ١٨٨ .

الرسمى للخلفاء العباسيين أكثر من أربعين عاماً يدون أعمالهم ، وما يشيدونه من قصور ، كما يدون حروبهم على الثائرين عليهم .

أثرى ثراء فاحشاً منذ عصر المتوكل ، فقد نثر عليه أموالاً جمة ، واقطاعات عديدة ، وكان على فضله ونصاعة بيانه ، ورقة كلامه وبديع أسلوبه، وجزيل شعره ، وفياً لأصدقائه ، كما كان فى مراثيه أجود من مدائحه وعندما سئل عن ذلك قال : إنما ينبغى أن يكون الرثاء أبلغ من المدح ،لأن الرثاء هو صفة الوفاء، أما المدح الذى يُبتغى به العطاء يمكن أن يكون جيد ، ويمكن أن يكون رديئا، لأنه صدر عن حاجة ، و من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح . (٢) ولكن البحترى لم يقف عند هذا الخلق الذى نحمده له، وإنما كانت له أخلاق أخرى يظهر أنها لاتستحق الثناء، فقد كان يمدح الخليفة فإذا دالت دولته هجاه،وكذلك الأمراء والوزراء يمدحهم كثيرا وإذا تنكرت لهم الأيام قام بهجائهم، وكان من أبخل الناس، كما كان شديد الإعجاب بنفسه ، ومن أكثر الشعراء فخرا بشعره.

---

(٢) الأغانى جـ ٢١ ص ٤٢ .

شعره

البحترى خُلق شاعراً بكل ما تنطوى عليه هذه الكلمة من معان ، فقد أوتى نفساً شفافة فطرت على الحس الرقيق الذى يهتز للجمال حيثما يصادفه ، امتازت بخيال صاف ، وتوكأت على ذوق فطرى سليم ، وإدراك لأسرار الموسيقى الفنية إدراكاً طبيعياً يميز الصوت الناشز من المتناغم فى غير مشقة، كما يجيد التأليف بين الأصوات [٣] إجادة تامة .

لهذا امتاز شعره بدقة الملاحظة ، وصدق الحس ، وتنبه العاطفة، وروعة البيان .

مكنته نشأته وثقافته من العودة بالقصيدة العربية إلى ما كانت عليه أيام جرير من السهولة والوضوح فى معانيها ، والنصاعة والرشاقة فى ألفاظها ، وهذا ما جعل القاضى الجرجانى يقرنه به ويجعله نظيراً له . [٤]

وعلى الجملة فإن البحترى يقترب اقتراباً شديداً فى فنه من الشعراء المطبوعين الذين يرسلون أنفسهم على سجيتها، ولا يتكلفون فى المعانى ولا يسرفون فى التعمق فيها، ولا يستكرهون الألفاظ ، ولا يعمدون إلى الصنعة اللفظية المعقدة إلا ماآتاه من ذلك كله عفو الخاطر دون طلب له . [٥]

فلم يتعمق البحترى فى التفكير المنطقى الذى اتخذه بعض معاصريه مذهباً للشعر ، ولاقى تعقيدات البديع الذى جعل منه آخرون

---

(٣) تاريخ الأدب العربى حنا الفاخورى ص ٥١٩ .
(٤) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٢٩ .
(٥) الوساطة ص ، الموازنة ص ٢٥.

علماً ذا أصول ، إنما يرى أن الشعر لمح للأشياء خاطف ، والإشارة عنها ببيان بليغ .

وبهذا يعد البحترى أهم شاعر ظهر فى القرن الثالث، وتمسك بالنهج المألوف للقصيدة العربية من حيث الشكل والمضمون ، كما أنه أهم شاعر اهتم بالموسيقى الداخلية ، وما يستتبعه من عناية بفنون البديع حتى أنه ليروع النقاد روعة بالغة .

وقد حقق لشعره الموسيقى الداخلية عن طريق اختيار الكلمات وترتيبها ، والمشاكلة بين اللفظ والمعنى .

حظى البحترى بإطراء النقاد والشعراء، فقد أجمع أهل النقد والأدب على أنه شاعر مطبوع يصدر فنه عن الطبع فلا يعقد ولا يغوص فى المعانى ، وشعره بديع المعنى حسن الديباجة، صقيل اللفظ ، سلس الأسلوب كأنه سيل ينحدر إلى الأسماع ، وعده كثير من أهل الأدب الشاعر الحقيقى ، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التى يتغنى بها فى زمنه . [٦]قدمه الإمام الباقلانى على أهل زمانه بديباجة شعره ، وحسن عبارته، وسلاسة وبهجة كلامه ، وبديع رونقه وكثرة مائه، وعذوبة ألفاظه.

فكان شعره كالسهل الممتنع الذى تراه كالشمس قريباً ضوؤها بعيداً مكانها، قال عنه بن الأثير : انه أحسن من سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى[٧].

---

(٦) جواهر الأدب للهاشمى ص ٦٠٥
(٧) المثل السائر جـ٣ ص ١٠

ونقل الصولى عن ابن المعتز وصفه للبحترى بأنه أكبر الشعراء المحدثين لوصفه إيوان كسرى ، وبركة المتوكل . [٨]

كما كشف الإمام عبد القاهر الجرجانى عن رقة شعر البحترى وحسن نظمه ، وجودة بنائه ، واتخذ من شعر البحترى دليل على قواعد النظم إذ يقول : وإنك لا تكاد تجد شاعراً يعطيك فى المعانى الدقيقة من التسهيل والتقريب ، ورد البعيد الغريب إلى المألوف القريب مما يعطى البحترى وبلغ فى هذا الباب مبلغه ." [٩]

المقدمة الغزلية

المقدمة الغزلية من أكثر المقدمات التقليدية لدى شعراء العصر العباسى ، وقد اعتمد الشعراء فيها على التعمق فى المعانى، والتأنق فى الصور تعمقاً وتأنقاً لا يتخدان من الماضى تحويراً وتوليداً فحسب ، بل يتخدان من الحاضر اختراعاً وابتداعاً وتزييناً وزخرفاً [١٠]، ولقد اعتنى البحترى بمقدمات قصائده عناية شديدة بالألوان العتيقة ، والأشكال الموروثة ، ومع ذلك فقد جدد فى صنعته بلا كلفة .

ولهذا نراه يتمسك بالمقدمة الغزلية تمسكاً يبدو فى حرصه على الإكثار منها ، وقد اشتهر البحترى بإجادة الغزل ، فقد أحب فى شبابه علوة الحلبية التى شغفته حبا وولع بها صبابة، وظلت ذكراها تستولى على قلبه ولا تبرح ذاكرته حتى الأنفاس الأخيرة من حياته ، قال فيها غزلاً كثيراً صادقاً ، امتاز هذا الغزل بشعور حقيقى فيه حرارة وعاطفة متوثبة مؤثرة ، غاية فى الرقة والإرهاف ، وفيه جمال ساحر

---

(٨) شرح ديوان البحترى
(٩) أسرار البلاغة ص ١٣٤ .
(١٠) المقدمة الغزلية فى العصر العباسىد/حسين عطوان ص

فى الوصف، وقد جاء البحترى فى غزله على أوصاف جمة لما يعترض المحب منه صد وهجران وفراق وألم النوى وحرارة الرحيل .

وتكثر المقدمة الغزلية فى شعر البحترى وتتخذ شكلية مختلفين :

الشكل الأول : يشبه أن يكون غزلاً عذرياً عفيفاً يصف فيه صد المحبوب عنه، وما يكابده من العذاب فى بعده ، كما يصف تدلله إليه وخضوعه له .

الثانى : أقرب إلى أن يكون غزلاً مكشوفاً يصف فيه جسم محبوبته وصفاً حسياً ، وقد جئت بنماذج من شعره لهذين الشكلين.

وعلى أية حال فهو يختار لقصائده التى يقدم لها بالغزل أقصر الأوزان وأخفها ، وأعذب الألفاظ وأرشقها وأرقها ، كما يلائم بين الحروف والحركات ملائمة تنتهى به إلى تقطيعات موسيقية .

كما أشاع فيها ضروباً من الأنغام التى استخرجها من التقطيعات الصوتية فى أغلب الأبيات ،ومن التصريع فى مطالعها ، أو استخدامه لأدوات البديع من الطباق والجناس ، ورد الأعجاز على الصدور، ومراعاة النظير وغيرها .

وهكذا حقق البحترى لمقدماته الغزلية كثيراً من العذوبة والرشاقة، فتحولت إلى مقدمة موسيقية خالصة يعزفها فى فواتح مدائحه ،ولعل هذا هو ما دفع ابن الأثير إلى القول : " أنه أحسن من سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يُشعر فغنى ." (١١)

---

(١١) المثل السائر جـ ٣ ص ٢٢٧

ثانيا : المتنبى

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفى الكندى الكوفى الملقب بالمتنبى ، أصل آباؤه على المشهور من اليمن فأبوه جعفى ، وأمه همذانية ، وُلد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ بمحلة كندة فنسب إليها .

نشأ بالكوفة وتعلم القراءة والكتابة ، وأولع بتعلم الشعر، تميز منذ طفولته بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحب العلم ، والأدب وملازمة العلماء والأدباء ، خرج إلى البادية ، وخالط فصحاء البدو وأخذ عنهم اللغة ، ورجع إلى وطنه بدوياً .

ثم رحل به أبوه إلى الشام فى السادسة عشر من عمره ، وخرج إلى بادية السَّماوة حيث قبائل بنى كلب ، فأقام فيهم ينشد شعره فعظم شأنه بينهم ، وقويت فصاحته فوشى بعض الأعراب إلى أمير حمص من قبل الإخشيدين بأن أبا الطيب ، ادعى النبوة ، وتبعه من البدو خلق كثير ، فخرج إليه أمير حمص وقبض عليه وسجنه ،ثم أطلق سراحه ، فخرج من السجن وقد لصق به لقب المتنبى ، وكان له كارهاً

عرف المتنبى بحب المال منذ صباه ، وكان طموحاً إلى ابتغاء المجد ،فأحب أن يصل إليه عن طريق المال ، فحرص على المال، وجد فى طلبه ،ليبلغ به غايته، ويستعين به على تحقيق آماله وأحلامه ،فهو القائل :

لا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

فهو يربط المال والحصول عليه بالمجد وتحقيق المطامع ،لا مجرد جمع المال لغرض المال، وهذا ينفى عنه صفة البخل ، ولهذا

مدح الملوك والعظماء استدراراً للعطاء ، وتكسب بالشعر مدة انتهت بلحاقه ب "سيف الدولة بن حمدان "أمير حلب ، فصار أكبر شعرائه ومدحه بما أخلد اسمه أبد الدهر ، وتعلم منه الفروسية ، وحضر معه وقائعه العظيمة مع الروم ووصفها أحسن وصف ، وبقى أسيراً عند سيف الدولة إلى أن حسده حاشيته ، وغيروا قلبه على المتنبى ، ففارقه المتنبى على كره بعد أن لازمه تسع سنين . (١٢)

فقصد كافور الإخشيدى أمير مصر ومدحه ، وأكرمه كافور ووعده أن يوليه إمارة أو ولاية ثم ماطله لما رأى تعاليه وفخره بنفسه، فهجاه المتنبى وفر إلى فارس ماراً بالعراق، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ، ونال منهما أموالاً كثيرة ،فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد يوم الثامن والعشرين من رمضان لسنة أربع وخمسين وثلاثمائة من الهجرة .

وهكذا نشأ المتنبى على حب المجد والعظمة ، وسعى وراء الآمال العظام فكان باسلاً جبار الهمة ، يرى الحياة صراعاً عنيفاً ، وكان يقدس القوة ، صبوراً ثابت العزم، مترفعاً عن الصغائر من الملاهى ومجالسة النساء والخمر، وكان شديد الفخر والاعتداد بنفسه ،متكبراً أبياً مؤمناً بحقه على أهل زمانه فهول القائل:

وما الدهر إلا من رواة قصا ئدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغنى مغردا (٢)

---

(١٢) انظر ترجمته شرح ديوان المتنبى /عبد الرحمن البرقوقى ص ١٣ – ٤٧ ، وجواهر الأدب للهاشمى ، تاريخ الأدب العربى طه حسين جـ ٣ ص ٢٤ ، الفن ومذاهبه شوقى ضيف ص ٣٠٣ ، تاريخ الأدب العربى حنا الاخورى ص ٦٠٢ – ٦١٠ . (٢)انظر ديوان المتنبى ج١ ص٢٩ (٣) مطالعات فى الكتب والحياة / عباس محمود العقاد

وكان صادق القول لم يكذب قط ،وكان ينفر من التكلف ،ويفضل البداوة على التحضر ، كما كان وفياً لأصدقائه محباً لهم متأسياً لفراقهم ، فكان وفيا بخلقه كما كان وفيا بكلامه ومذهبه،وآية ذلك رثاؤه لصديقه "أبى شجاع فاتك " فى أكثر من قصيدة اتسم بقوة العاطفة، ذلك الرثاء الذى لا يقرؤه قارىء فيخامره شك فى حزنه وحفظه للجميل.(٣) وكان حزين الطبع ثائراً عنيفاً يجهل المسامحة ، ولا يحسن مداراة الناس ، طموحه المفرط أدى به إلى المغاليات ، فلم يرض من الآمال بالمعقول المحدود ، فطمح إلى السؤدد وقصر عن بلوغ أمله ، فلبث ثائراً متشائماً متمرداً فى نفسه بغض للناس، شديد الشعور بالاضطهاد ،لا يتمثل سوى الحساد الكائدين، والدهر الغاشم المتآلب عليه

شعره :

أوتى المتنبى عبقرية خصبة تهيأ لها من الثقافات والمؤثرات الخارجية غذاء ملائم ، فقد أضاف لموهبته الطبيعية ما حصل من ثقافة واسعة فى العلم والفلسفة والمذاهب العقلية الشائعة فى عصره ، كما كان من أئمة اللغة المبرزين .

عاطفته كثيرة التنوع عرفت نشوة الآمال والثقة ، وألم الخيبة ومرارة الألم ، وقد كان للألم يد طولى فى تصفية نفس المتنبى ، وإلصاقها بواقع الحياة، فقد وقاه الألم من معايب كثيرة ، إذ شغلته بالواقع الجدى عن اللهو بالصناعة اللفظية والمغاليات وضروب الإغراب التى كان يجنح إليها فى صباه متأثراً بأبى تمام .

شعره تعبير عن خلجات نفسه وصورة لأحواله المختلفة ، فكان مرآة لعصره ونفسه،ونفسه كانت تحمل حزناً عميقاً ظهر واضحاً فى شعره حيث يقول :

لم يترك الوجد فى قلْبى ولا كَبدى شيئاً تتيمه عينٌ ولا جيدُ

يا ساقيى أخمرٌ فى كُؤوسكما أم فى كؤوسكما همٌ وتسهيدُ

أما خياله جبار له قدرة على الإبداع ، مغرم بكل عظيم يبهر النفس والعين ، خيال واقعى لا يعرف الأحلام ، ولا يعمد إلى الرؤى ، ولما لشخصيته من قوة وتنوع اصطبغ شعره بألوان شخصيته حيث اعتمد القوة فى تراكيبه ، تجلت تلك القوة فى متانة الجمل وصلابة الألفاظ ، توخى الحروف الضخمة التى تقرع الآذان وتلفت الانتباه ، وتطلب القوافى الشديدة فى أغلب المواقف ، لغته بدوية أصيلة فى صفائها وسلامتها وغناها .

بلغ فى شعره من الغموض درجة لم يبلغها غيره ، من ذلك ً تكلف أوجه البديع أحيانا تكلفاً شديداً ، فأوغل فى طلب الطباق، والجناس إيغالاً شديداً ، كما تعمد الألفاظ الحوشية والتراكيب الغريبة المعقدة لإظهار التفوق فى اللغة وأساليبها خاصة فترة تواجده مع سيف الدولة

كما قصد الشاعر التشكيك فى معانيه من خلال مدحه لكافور حيث يأتى بأبيات ذات معنيين متناقضين ظاهرهما مدح وباطنهما هجاء ، كما استخدم الرمز بدلاً من التصريح .

أيضا أغرق الشاعر فى الإيجاز فكان يضمن الألفاظ القليلة كثيراً من المعانى النادرة العجيبة التى يصعب فهمها .

وكأن المتنبى يأبى أن ينحط شعره إلى مستوى العوام ، وإنما يريد أن يفرضه فرضاً على أرباب الصناعة . (١٣)

وعلى آية حال فإن هذا الشاعر يملك مقدرة فريدة على التحليق فى أجواء من الشعر لم تتح لغيره أن يسمو إليها .

وشعره لا خلاف بين العلماء عند أهل الأدب أنه لم يبلغ شاعر بعد المتنبى فى شعره ما بلغ شأوه أو أدناه ، و شهد له كثير من العلماء والنقاد .

---

(١٣) تاريخ الأدب العربى حنا الفاخوى ص ٣٢ - ٣٨

فهذا أبو العلاء المعرى على فرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وشدة تعمقه فى المعانى يعترف بأبى الطيب ويقدمه على نفسه وغيره ، وكان إذا أنشد بيت :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

يقول المعرى : أنا الأعمى .

فما ظنك بمن يشهد له أبو العلاء فخر الأمة العربية ، وفيلسوف الشعراء، وشاعر الفلاسفة ، كما أشاد الأصفهانى بتمكنه من اللغة التى استطاع أن يملك زمامها ويستعبدها لمعانيه ومبانيه ، وإن خرج عن المألوف فى البناء والتراكيب .

قال الشيخ أبو القاسم الأصفهانى : " جملة القول فى المتنبى أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر " (١٤)

مقدماته الغزلية

لم يتوفر المتنبى على الغزل ، لأن نفسه مشغوفة بالقوة ، وقلبه مشغول بطلب المعالى ، وإن جرى أن يميل إلى امرأة آثر البدوية التى تمثل الطبيعة الفطرية ، غزله على الإجمال تقليدى ضعيف العاطفة يأتى فى مستهلات قصائد المدح إلا أنه لا يخلو من بعض الإجادة ، لتمكن الشاعر من الصناعة البيانية، وشعوره ببعض خلجات الحب التى لا يخلو منها فؤاد . (١٥)

---

(١٤) الأغانى جـ٢١ ص ١٠ ، انظر تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/ محمد زغلول سلام ص ٣٤٩ .
(١٥) تاريخ الأدب العربى د/ حنا الفاخورى ص ٦٢٤ .

وإذا نظرنا إلى مقدمات المتنبى الغزلية نجد فيها فنوناً من التجديد، وألواناً من التقليد فهى من ناحية تتصف بما اتصفت به مقدمات البحترى ،وابن الرومى ، وابن المعتز من السهولة والرقة .

ومن ناحية أخرى تحول بها إلى الرمز، فقد استغل مقدماته الغزلية التى استهل بها مدائحه لكافور للتعبير عن نفسيته،وما يتجاذبها من العواطف المختلفة والانفعالات المتباينة بعد فراق سيف الدولة ، من ناحية ثالثة استطاع أن يرد لهذه المقدمة عروبتها ،إذا تغزل فى غير قليل من مقدماته فى البدويات ، واستحضر فيها جميع العناصر البدوية التى كنا نراها عند الجاهليين، فذكر ارتباطات جاهلية خاصة بالنسيب كمنعة المحبوبة فى قبيلتها، ومدح النساء عامة بالبداوة ، وشبب بالأعرابيات، ومدحهن على وجه الخصوص، و قد سجل القدماء له ذلك وعدوه من فرائده . (١٦)

على أن هناك ظاهرة تلفت النظر فى بعض مقدماته الغزلية وهى المبالغة الشديدة فى أوصافه للمحبوبة، ونظراته وعشقه لها ووجده بها ، وعلى الجملة فقد كثرت المبالغة فى شعر المتنبى كثرة ملحوظة، ولم يبلغ شاعراً فى ذلك ما بلغه المتنبى .

وبعد فهذا هو المتنبى اللذى جاء فملأ الدنيا وشغل الناس ، وقد ساهم شعره فى توسيع شهرته حيث أحبه المحافظون لجزالة تراكيبه ، وأحبه المجددون لإبداعه فى الصور والمعانى، ولما فى فنه من قوة وحيوية ، كما أحبه أصحاب الشذوذ لما فيه من تطرف ، وأحبه اللغويون لمعرفته باللغة، ووقوفه على أسرارها .

---

(١٦) يتيمه الدهر للثعالبى جـ١ ص ١٩٣ ، المقدمات الغزلية فى العصر العباسى د/حسين عطوان.